فيه افة عظيمة بسبب ذلك ولو كنت صمت لتصمت عن ما لا يعنيك كنت من
هذه الشرور مستريحا فلينتبه العاقل في ذلك وبالله التوفيق **الفصل**
الثالث اللسان ثم عليك عصمك الله وإيانا بحفظ اللسان وضبطه وتقييده
فإنه أشد الأعضاء جماحا وطغيانا وأكثرها فسادا وعدوانا ولقد روينا
عن سفيان بن عبد الله أنه قال قيل يا رسول الله ما أكثر ما تخاف علي فأخذ عليه
السلام بلسانه نفسه ثم قال هذا وعن يونس بن عبيد قال إني وجدت نفسي
تحمل مؤونة الصوم في اليوم الشديد الحر ولا تحتمل ترك كلمة لا تعنيها فعليك
إذا بالتحفظ منه جدا وبذل المجهود وتوفي الخمسة أصول أحدها ما روى
أبو سعيد الخدري رضي الله عنه أن ابن آدم إذا أصبح أصبحت الأعضاء كلها تكفر
اللسان وتقول نشدك الله فينا فإنك إذا استقمت استقمنا
وإن اعوججت اعوججنا **قلت** والمعنى فيه والله أعلم أن نطق اللسان
يؤثر في أعضاء الإنسان بالتوفيق والخذلان ويؤكد هذا المعنى ما حكي عن مالك
ابن دينار أنه قال إذا رأيت قسوة في قلبك ووهنا في بدنك وحرمانا في رزقك
فاعلم أنك تكلمت فيما لا يعنيك والأصل الثاني في فضول الكلام وأن الكف عن
ما يتكلم به الإنسان من غير ذكر الله فلعلى الأقل يكون لغوا يضيع الوقت به
وحكي أن حسان بن أبي سنان مر على غرفة تبنيت فقال متى بنيت
هذه ثم أقبل على نفسه فقال يا نفس المغرور تسألين عما لا يعنيك
وعاقبها بصوم سنة فقالت [illegible] يا طوبى للمهتدين بأن نحسن ويا ويح
للغافلين الذين خلعوا العذار وأدخلوا العقاب والله المستعان ولقد صدق
القائل وأحسن حيث قال

اغتنم ركعتين في ظلمة الليل إذا كنت فارغا مستريحا
وإذا ما هممت بالنطق في الباطل فاجعل مكانه تسبيحا
ولزوم السكوت خير من النطق وإن كنت في الكلام فصيحا

والأصل الثالث حفظ الأعمال الصالحة فإن من لم يحرسها ندوا أكثر الكلام
يقع لا محالة في غيبة الناس كما قيل من كثر كلامه كثر سقطه والغيبة هي
الصاعقة المهلكة للطاعات على ما قيل إن مثل من يغتاب الناس مثل من
نصب منجنيقا يرمي به حسناته شرقا وغربا يمينا وشمالا وبلغنا
عن الحسن أنه قيل له إن فلانا اغتابك فبعث إليه بطبق فيه
رطب وقال له بلغني أنك أهديت إلي حسناتك فأحببت أن أكافئك وذكرت
الغيبة عند ابن المبارك فقال لو كنت مغتابا لاغتبت أبي وأمي لأنهما أحق
بحسناتي وذكر أنه بات مالك بن دينار ليلة فيها معه بعض نسوة بزوجته فقال اللهم
ما علموا بقيل البارحة فلما أصبحوا قالوا منه فنكون صلاتهم يوم القيامة

ميزانه

ميزانه والأصل الرابع السلامة من آفات الدنيا على ما قال سفيان ما تتكلم
بلسانك ما تكسر به أسنانك قال أي لا تبسط لسانك فيفسد عليك
شأنك ولقد قال القائل احفظ لسانك لا تقول فتبتلى إن البلاء موكل بالمنطق
ولابن المبارك: احفظ لسانك إن اللسان سريع إلى المرء في قتله
وإن اللسان دليل الفؤاد يدل الرجال على عقله
ولابن وكيع: لسان المرء ليث في كمين إذا خلى عليه له إغارة
فصنه عن الخنا بلجام صمت يكن لك من بليات ستاره
وفي المثل السائر رب كلمة تقول لصاحبها دعني والأصل الخامس ذكر آفات
الآخرة وعاقبتها وأدنى فيه نكتة واحدة وهي أنه لا تخلو إما أن يكون موافقا أمرا محظورا
حراما وقولا مباحا من فضول لا يعنيك فإن كان محظورا ففيه من عذاب الله تعالى الذي
لا طاقة لك به فلقد روينا في الخبر الصحيح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
أنه قال ليلة أسري بي مررت في النار بقوم يأكلون الجيف فقلت يا جبريل من هؤلاء
الذين يأكلون الجيف فقال هؤلاء الذين يأكلون لحوم الناس ولقد قال صلى الله عليه
وسلم لمعاذ اقطع لسانك عن حملة القرآن وطلاب العلم ولا تمزق الناس بلسانك
فتمزقك كلاب النار وعن أبي قلابة أن في الغيبة خراب القلب عن الهدى فنسأل الله
تعالى العصمة عن ذلك بفضله هذا في الكلام المحظور وأما المباح ففيه أربعة أمور
أولها شغل الكرام الكاتبين بما لا خير فيه ولا فائدة وحق للمرء أن يستحي منهما
ولا يؤذيهما قال الله تعالى ما يلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد والثاني إرسال
كتاب إلى الله تعالى من اللغو والهذر فليحذر العبد من ذلك وليخش الله سبحانه وذكر
أن بعضهم نظر إلى رجل يتكلم بالخنا فقال يا هذا إنما تملي كتابا إلى ربك فانظر
ماذا تملي والثالث قراءته بين يدي الملك الجبار يوم القيامة على رؤوس الأشهاد
بين الشدائد والأهوال وعطشان عريانا جيعان منقطعا عن الجنة محبوسا عن النعمة
والرابع اللوم والتعيير لما ذا قلت وانقطاع الحجة والحياء من رب العزة وقد قيل
وإياك والفضول فإن حسابه يطول وكفى بهذه الأصول وأعظمها إن تعقل وقد سكتنا
في كتاب أسنى المعاملات الذين ما فيه مقنع فانظر فيه تجد الشفاء **الفصل**
الرابع في القلب ثم عليك بحفظ القلب وإصلاحه وحسن النظر في ذلك وبذل المجهود
فإنه أعظم هذه الأعضاء خطرا وأكثرها أثرا وأدقها أمرا وأشقها إصلاحا وأدى فيه خلاصة
مفيدة: الأولى قوله تعالى يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور وقوله تعالى يعلم
ما في قلوبكم وقوله تعالى إنه عليم بذات الصدور ثم ذكرها وكرر ذكرها في القرآن من كيفية
باطلاع العليم الخبير تحذيرا وتنبيها للخواص من العباد لأن المعاملة مع علام

Copyright © King Saud University

Created with PDFsharp 1.2.1269-g (www.pdfsharp.com)